كليلة ودمنة

نقد وتعليق

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

(تتمة)

٢٩ — ١٩٥ : ١٥ (أرادوا إدخال النقص عليك فى ملكك) كلمة (النقص) ركيكة فى هذا المعرض لا يقولها مثل ابن المقفع. وإنما هى (النقض) بالضاد المعجمة. والنقض الإفساد وحل العقد. وهى سائرة فى لغة الجاحظ وأضرابه من أمراء البيان العربى

٣٠ — ١٩٩ : ٥ (وكانت شارته إليها أن غمزها بعينه). الشارة: الحسن والهيئة واللباس. وليست مرادة. بل هى (إشارته). وقبل هذا (وأشار عليها بأخذها فأخذتها)

٣١ — ١٩٩ : ١٥ (فأضاء كل ما حولها فاشتاف إليها، وقال لإبراخت) فاعل (أضاء) هو (كل). وأما فاعل (اشتاف) فهو الملك، فالجملتان محتاجتان إلى فاصل بينهما، واشتاف بالفاء، إذا تطاول ونظر. واشتاف البرق أى شامه. ومنه قول العجّاج:

« واشتافَ من نحو سهيل بَرْقا »

٣٢ — ٢٠٠ : ٩ (فإنها امرأة عاقلة لبيبة، حريصة على الخير، سعيدة من الملكات، ليس لها فى النساء عديل) وكيف تكون (سعيدة) مع أن الملك أمر بقتلها وأوشك أن ينفذ أمره؟ ثم هو فى معرض التنويه بخصالها. وليست السعادة خصلة أو خلقاً من الأخلاق. والوجه (سديدة [الرأى] من الملكات [التى] ليس لها فى النساء عديل)[1]

٣٣ — ٢٠٨ : ١١، ١٢ (الذى يصنع الطعام وينظفه لسيده ثم يقدمه إليه فى إبانه) ليست كذلك، وإنما هى (وينضجه لسيده) تصحفت على الناسخ فشوهها بما رأيت

٣٤ — ٢١٠ : ٥ (والجرىء الجاهل المقدم على ما ليس له وإن أتلف نفسه ونفس غيره فى طلب حاجته وشحه) صوابه (ونجحه) والنجح بالضم النجاح وإدراك البغية

٣٥ — ٢٢٣ : ١٣ (إن أنا واخذته) هى لغة فى (آخذته) بالهمز. قال صاحب القاموس (وآخذه بذنبه مؤاخذة. ولا تقل واخذه). وفى اللسان[2] (والعامة تقول واخذه) والحق أن الكلمة عربية، وأنها لغة لبعض العرب. وفى المصباح: وتبدل واواً فى لغة اليمن فيقال واخذو مواخذة. وقرأ بعض السبعة[3] « لا يواخذكم الله » بالواو، على هذه اللغة. والأمر منه واخِذْ)

وقال العرب فى مثل ذلك (واخيته) لغة فى (آخيته)[4] و(واسيته مواساة) لغة فى (آسيته مؤاساة)[5]، و(واكلته) لغة فى (آكلته)، (وامرته) لغة فى (آمرته)[6]

والهمز فى كل ذلك أكثر وأجود

٣٦ — ٢٢٤ : ١٥ (الحيوانات) جمع حيوان. زعم بعضهم أن العرب لم تنطق بها. ومجيئها هنا شاهد على صحتها وعلى استعمالها. وقد استعملها (الجاحظ) فى كتاب الحيوان (٣ : ٢٦٥ س ١) قال: « والنسيم الذى يحيى جميع الحيوانات » وكذا الثعالبى فى فقه اللغة ص ٢٤ طبع الحلبى، قال « فصل فى طبقات الناس وذكر سائر الحيوانات ». وكذا البغدادى صاحب (الفرق بين الفرق) المتوفى ٤٢٩ قال فى ص ١١٨: « وأصناف الحيوانات » وقال فى الصفحة نفسها « ولا نوعاً من الحيوان » فأجاز بذلك الاستعمالين. واستعمله أصحاب (رسائل إخوان الصفاء) فى الجزء الثانى من طبعة التجارية، استعمالاً كثيراً، يدل على ذيوع هذه الكلمة وإقرار العلماء لها

٣٧ — ٢٣٤ : ٩ : (وقع موقع من يركب ناب الفيل المغتلم ثم يغلبه النعاس). كثر ما ورد اسم (الفيل) فى هذا الكتاب وذاك راجع بالطبع إلى الجو الهندى الذى يشيع فيه. وتجده أيضاً مقروناً بكلمة (المغتلم)، كما ورد فى ٤٧ س ١١، ٧١ س ١٣، ٧٩ س ١، ٢٥٥ س ٥، فهو مضرب المثل عندهم بالقوة وشدة البأس. قال الجاحظ فى ذلك:

« وإذا اغتلم الفيل قتل الفيلة والفيالين، وكل من لقيه من

---

(١) أنظر كليلة ودمنة طبع بولاق ص ٩٧

(٢) لسان العرب

(٣) هو ورش. أبدل الهمزة واواً وصلا ووقفا. وأبدلها كذلك حمزة وقفا لا وصلا. غيث النفع ٦٧

(٤) بحر العوام لابن الحنبلى ١٠٢

(٥) لسان العرب (١٨ : ٣٧)

(٦) لسان العرب (أكل، أمر)

سائر الناس ولم يقم له شيء، حتى لا يكون لسواسه همّ إلا الحرب وإلا الاحتيال لأنفسهم » . ثم ذكر قصة كان يتداولها الفرس عن مصارعة كسرى لفيل مغتلم تمكن من ضربه والفتك به .

٣٨ — ٢٥٠ : ٣ : (فلما رأوا الأسد قد احتشد فى طلب اللحم وغضب) : أرى أنها (احتدّ) والحدة تقارن الغضب

٣٩ — ٢٤٧ : ٤ : (فما الذى يشبه كفّك عن الدماء وتركك اللحم) ؛ وكلمة (يشبه) مقحمة ، لعلها زيادة من المعلى للناسخ حين تردّده فى الكلمة بعدها ؛ وصواب العبارة : (فما الذى كفّك عن الدماء وأكلك اللحم)

٤٩٠ — ٢٥٦ : ٤ : (والحج بالزنا) : لا تجوز كتابتها بالألف إلا لمن نظر إلى أنها مقصورة من الممدودة (الزناء) وهى لغة بنى تميم ، ولغة أهل الحجاز القصر[1] ؛ ومن ذهب إلى قصرها لم يكتبها إلا بالياء ، لأنها يائية الأصل .

٤١ — ٢٧١ : ١١ : (وعلمنا أنك كنت لما ساق الله إليك من ذلك أهلاً ، بفضلٍ قسّمه لك ، وتابَع نعمه عليك) . فعلى أى فعل عطف الفعل (وتابع) ؟ !

إن عطف على (قسّمه) استرك المعنى وعاد الضمير فى (نعمه) إلى (فضل) أى نِعَم الفضل ، وليس ذلك شيئاً ؛ والوجه : (بفضل [ما] (قسمه) ... الخ . أو (بفضل قسمه لك، ونعمة تابع عليك) —أى تابعها— أو (بفضل قسمه لك ، وسابغ نعمه عليك)

٤٢ — ٥٢ : ٢ : (كالشعلة من النار التى يصوّبها صاحبها وتأبى إلا ضياء وارتفاعاً) . سبق الحديث عن هذه الفقرة فى رقم (٥) ، وكنت على شك من صحة كلمة (يصوّبها) ، إلى أن ظهر لى وجهها فيما قرأت من عيون الأخبار[2] : « ذو الهمة إن حُطّ ، فنفسه تأبى إلا علوّاً ، كالشعلة من النار (يُصوّبها) صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً » ؛ والتصويب : الخفض والتنكيس ؛ وفى التهذيب : « صوّبت الإناء ورأس الخشبة تصويباً إذا خفضته » . فصاحب النار يخفض رأس الخشبة المشتعلة ، فلا يمنع ذلك النار أن ترتفع وتأخذ طريقها فى العلو

٤٣ — ٢٧٦ : ١٣ (ولم تجدى من الأسف والحزن على شبليك شيئاً إلا وقد كان من كنت تفعلين بأحبابه ما تفعلين يجد مثله أو أفضل منه) . وليس يقال حزن فلان حزناً أفضل من حزن فلان ، أو أسف أسفاً أفضل من أسفه . والوجه (أمثل) كما ورد فى أصل النسخة . و (أمثل) هنا تفضيل من مَثَل بالرجل يمثُل مَثْلاً ومُثْلة : نكّل به[1] . فالمعنى أشد تنكيلاً منه

٤٤ — ٢٧٩ : ٤ (ويبقى حيران متلدداً) . وفى نسخة بولاق ١٠١ (متردداً) وعند ابن المبارك ٢٦٧ :

عاد إلى طلاب ما قد تركا فضلّ عنه وبقى مرتبكا

والتلدد والتردد بمعنى ، وهو من أسرار العربية : أن يختلف اللفظان فى حرفين متقاربى المخرج فإذا المعنى واحد أو كالواحد . وفى اللسان (تلدد : تلفت يميناً وشمالاً ، وتحير متبلداً) . وجاءت هذه الكلمة بالراء فى ٢٨٠ : ١٢ (فبقى حيران متردداً)

٤ — فى التعليقات

١ — أورد الأستاذ فى شواهده على أثر الأسلوب الفارسى فى هذه النسخة ما جاء فى صفحة ٢٧٠ (فسأله رجل فقال) وقال فى المقدمة ٢٦ (تشبه هذه الجملة التعبير الفارسى) : (پرسیده گفت) وفى التعليقات ٣٠٠ (هذه الجملة تذكر بالتعبير الفارسى (پرسیده گفت[2]))

وليس للأسلوب الفارسى أى أثر فى هذه العبارة ، بل هى عربية خالصة جرى عليها العرب فى النثر ، واستفاضت فى كلامهم وبين يدىّ أحد الصحاح الستة ، وهو صحيح أبى عبد الله البخارى[3] . ففى ١ : ٢ س ٦ (أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى) . وفى ١ : ١٦٢ س ٣ (أن زيد بن خالد الجهنى أخبره أنه سأل عثمان بن عفان فقال : أرأيت) وفى ٢ : ١٦١ س ٣ (سألت أنس بن مالك رضى الله عنه قلت أخبرنى بشىء عقلته عن النبى صلى الله عليه وسلم) وفى ٣ : ٤١ س (عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سأله — أو سأل رجلاً ، وعمران يسمع — فقال : يا أبا فلان) . وغير ذلك كثير .

٢ — ٢٨٧ تعليقاً على ما ورد فى الأصل ص ١٦ (آدر هربر) قال الأستاذ : (نظنها محرفة عن آزر هربد ، أى سادن النار) ،

(١) الحيوان (٧ : ٣٠ ساسى) (٢) لسان العرب (١٩ : ٧٩)
(٣) عيون الأخبار (١ : ٢٣١ س ١٨ — ١٩)

(١) لسان العرب (١٨ : ١٣٦ س ٢٣)
(٢) هى بالكاف الفارسية التى تنطق كالجيم المصرية . ورسمت بالكاف العربية فى التعليقات لضرورة الطبع
(٣) طبع بولاق ١٣١٤

ولست أدرى : لم عدل عن لفظ (آدر) بالدال إلى (آذر) بالذال المعجمة مع أنهما بالفارسية فى معنى واحد ، وهو النار[1] ؟!

٣ — وفى الصفحة نفسها تعليقاً على ما ورد فى ص ٢١ س ٤ (ما أتذمم لذلك منك) أن (ذلك) وضع موضع الضمير والمعنى ما أتذمم له . قال الأستاذ (وضع الإشارة موضع الضمير هنا يشبه التعبير الفارسى) وقال نحو هذا القول فى تعليقه فى المقدمة ص٢٦ على قول ابن المقفع (تجرى أمورهم فنوناً يغلب على أكثر ذلك الخطأ) حين استشهد على أثر اللغة الفارسية فى ترجمة ابن المقفع

والحق أن هذا أثر من آثار اللغة العربية لا الفارسية ؛ فإن العرب يضعون الإشارة موضع الضمير فى كثير من عباراتهم . ويطرد ذلك فى ربط الجمل الخبرية ، والأصل فى ذلك الضمير . وفى الكتاب (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار) أى هم . وفيه (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) أى كله

٤ — ٢٨٨ تعليقاً على ما ورد فى الأصل ص ٣٠ (أكن كالصدق المخدوع الذى زعموا أن جماعة من اللصوص) أن كلمة الذى هنا تشبه أن تكون ترجمة الكلمة الفارسية (كه) وهى تكون بمعنى الذى ، وتأتى للتعليل والتفريع . أى أن ابن المقفع ترجم كلمة (كه) بكلمة (الذى) مع أنها هنا للتعليل والتفريع ، أى بمعنى (فقدته) فلا تحتاج إلى ضمير عائد ، على حين أن كلمة (الذى) فى استعمالها العربى تحتاج إلى عائد

وهذه شبهة طيبة ، واستنتاج حسن . ولكن الضمير العائد إلى الموصول يحذف كثيراً[2] . وجاء حذف العائد حين يتصل بحرف الجر فى قول الله تعالى : (ذلك الذى يبشر الله عباده)[3] أى به . وفى قوله (فاصدع بما تؤمر)[4] فى أحد وجهى تخريجه وقول حاتم الطائى :

ومِنْ حسدٍ يجورُ علىّ قومى وأىُّ الدهر ذو لم يحسدونى

أى فيه ، وذو موصول عند طيىء . وقال الجاحظ[5] (فالحمد لله الذى كان هذا مقدار عقولهم) أى كان هذا منه . فهذا الحذف فى كلامهم جائز وإن كان قليلاً جداً[6] . وهو أولى فى التخريج مما ذهب إليه الأستاذ من تأثير اللغة الفارسية . وابن المقفع أيقظ من أن يؤثر فى بيانه العربى هجنة فارسية ، أو يلتاث فى ترجمته هذه اللوثة

٥ — ٢٩٥ تعليقاً على ما ورد فى ١٧٤ من قوله (وأكيس الأقوام من لم يكن يلتمس الأمر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلاً) : « عمدنا أن نحذف (يكن) من هذه الجملة ثم رأينا أنها تشبه أن تكون من أثر الترجمة الفارسية ؛ فإن استعمال الفعل يكون ، مألوف فى مثل هذا التركيب بالفارسية »

هذا نص ما ورد فى التعليق . والحق أن التعبير عربى خالص ، لم تشبه شائبة فارسية ولم تقربه ، وأن (يكن) هنا قد جردت من معنى المضى ، وألزمت معنى الثبوت واتصال الزمان من غير انقطاع . وفى كتاب الله من ذلك كثير . « وكان الله شاكراً عليما » ، « وكان الله سميعاً عليما » ، « فإن الله كان عفواً قديرا » ، « وكان الله غفوراً رحيما » ، « وكان الله عزيزاً حكيما »[1] ومنه قول المتلمس[2] :

وكنا إذا الجبار صَعَّرَ خده أقمنا له من صعْره فتقوّما

وقول الفرزدق :

وكنا إذا القيسى نبَّ عَتودُه ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

وقول قيس بن الخطيم :

وكنت امرأ لا أسمع الدهر سُبَّةً أسبُّ بها إلا كشفت غطاءها

فليس فى الكلام هجنة فارسية كما رأيت

* * *

هذه نظرات فى بعض مواضع من هذا الكتاب الجليل . ولم أشأ أن أطنب فى سرد محاسن النشر وجودة العرض ؛ فذلك أمر يبادر الناظر فى هذه النسخة ويبدهه فى أول ما ينظر

وليس يفوتنى فى هذه الفرصة أن أكرر تهنئتى للأستاذ الكبير « عبد الوهاب عزام » بهذا العمل العظيم الخالد على الزمان ، وأن أزجى مثلها إلى الأخ المحترم « الأستاذ شفيق مترى » صاحب مطبعة المعارف ، بما أنفق من جهد ومال ، فى الاحتفال الناجح بمرور خمسين عاماً على جهاد مثمر ، بدأه والده وسهر هو على إتمامه ورعايته .

عبد السلام محمد هارون

(١) معجم استينجاس ص ٢٨ ، ٣٠
(٢) شرح درة الغواص ٢٠٩ وحواشى الحيوان (ج ٤ : ٣٠٠)
(٣) الشورى ٢٣ (٤) الحجر ٩٤ (٥) الحيوان ٤ : ٣٠٠ س٦
(٦) أمالى ابن الشجرى (١ : ٧ حيدر أباد)

(١) فى الآيات ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٨ من سورة النساء
(٢) لسان العرب (١٧ : ٢٤٩)
(٣) الديوان (١ : ٢١٠) ولسان العرب والمعرب للجواليقى ص ٢٧٩ طبع دار الكتب ١٣٦٠
(٤) ديوان قيس ص ٣ طبع ليبسك ولسان العرب (١٧ : ٢٤٩)